رسائل من دفتر مجاهد ... ②

الشيخ أبو محمد اليمني..
رحلته إلى الجزائر وقصة استشهاده

كتبها

أبو أكرم هشام

منشورات 1437 هـ

المسلمة فريق

الشيخ أبو محمد اليمني..

رحلته إلى الجزائر وقصة استشهاده

كتبها:

المجاهد أبو أكرم هشام

منشورات.. 1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أكتب هذه الأسطر المتواضعة إلى أحبابنا ومشايخنا الأفاضل، وإلى أهل الشيخ الحبيب أبي محمد اليمني رحمه الله وأبنائه، لنبرز أهمّ محطات رحلته إلى الجزائر، ولقائه بالمجاهدين في الداخل والخارج (صحراء النيجر ومالي)، وهذا عرفانا منا لفضل هذا الرجل الذي ضحى بنفسه من أجل إيصال الحقائق الجلية مباشرة من أرض الواقع إلى الجماعات الجهادية التي يتمركز معظمها في أفغانستان وعلى رأسها قاعدة الجهاد، وإعادة توثيق رابطة الموالاة والنصرة التي فقدها المجاهدون بعد الزيغ والضلال الذي وقعت فيه إمارة الجماعة الإسلامية المسلحة مما تسبب في تبدد طاقات المجاهدين وانفراط عقدهم.

ومن فضل الله ورحمته بالجهاد الجزائري، أنّ الانحراف كان محصورا في دائرة تواجد قيادة الجماعة فقط، حيث تدارك قادة معظم المناطق هذا الانحراف وأعلنوا خروجهم وتبرؤهم من هذه القيادة الضالة والمخالفة لمنهج الحق ثم أثمر سعيهم بتوحيد الصفوف تحت راية **"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"** في أفريل 1999م، والتي أعادت الأمل للأمة وبدأت في دعوتها من جديد وسعت في التواصل مع علماء وقادة الجهاد رغم الضيق والعزلة التي كانت مفروضة عليها.

كانت أهم خطوة لإيصال صوت المجاهدين والخروج من الدائرة المغلقة وإعادة ربط التواصل مع الجماعات الجهادية وعلى رأسها قاعدة الجهاد التي أعادت رصّ الصفوف تحت إمارة طالبان الإسلامية، هو السعي لاستقبال موفد من التنظيم، وهو ما تيسر عبر الأخ أيوب مسؤول اتصالات الجماعة وقتها الذي تربطه صلة بأحد الوسطاء على علاقة مع الشيخ أبي علي الحارثي[1] رحمه الله.

طلب الإخوة من الشيخ أبي علي الحارثي إيفاد مبعوث لهم إلى الجزائر للتنسيق ونقل الصورة الحقيقية عن واقع الجهاد، وقد تزامن ذلك مع تواجد شيخنا أبي محمد رحمه الله ـ في تلك الفترة ـ أثناء زيارته لأهله قادما من أفغانستان، وقد وقع عليه الاختيار لما يمتاز به من قدرات فنية عالية وعلى صلة وثيقة بالشيخ أبي عبد الله رحمه الله ومن معه من القادة والمشايخ.

---

[1] - كنت قد تعرفت على الشيخ أبي علي الحارثي حينما إلتقيته في السودان أثناء تواجدي في ضيافة الشيخ المجدد أبي عبد الله رحمه الله، كما تطرقت لذلك في مقالتي عن الشيخ أسامة وقصة دعمه للجهاد الجزائري.

كانت أول محطات سفره، عاصمة دولة النيجر ثم صحرائها أين كان الإخوة في انتظاره وعلى رأسهم الشيخ خالد أبي العباس حفظه الله صيف 2001م ولم يفارقه يوما واحدا حتى قتل رحمه الله.

تنقلا سويا إلى صحراء مالي أين تم ترتيب المسير الشاق نحو الشمال باتجاه الجزائر، والذي تتخلله المخاطر من كل جهة، حيث الصحراء الموحشة مع تربص العدو، ولكن معية الله لأوليائه لم تغادرهم حتى وصلوا إلى جنوب ولاية **"الجلفة"**[Œ] أين تتمركز كتيبة للمجاهدين في سلسلة **"جبل بوكحيل"** حيث قطعوا أكثر من 1500 كلم خلال أسبوع أو عشرة أيام بالسيارات الرباعية.
وبمجرد إطلالتهم على إخوانهم، تلقاهم المجاهدون بالفرح والسرور مع كرم الضيافة كعادتهم، خاصة مع وصول بعض الإمدادات البسيطة من الذخائر والسلاح الخفيف إلا أن فرحتهم بالشيخ أبي محمد اليمني كانت أشد.. حيث تبادلوا معه الحديث حول أخبار ساحات الجهاد وفي مقدمتها أخبار الإمارة الإسلامية.
وقد أعاد لهم ـ هذا اللقاء ـ الأمل في التواصل مع إخوانهم المجاهدين في باقي الساحات، فكان الشيخ فاتحة خير، وما هي إلا سنة أو سنتين حتى توافدت جموع المهاجرين إلى الصحراء والشمال الجزائري من بلاد شنقيط وليبيا ونيجيريا والمغرب وتونس.

ثم أرادوا إكمال المسير لملاقاة قيادة الجماعة السلفية، والتي كانت متمركزة في أقصى الشمال، وللانتقال إلى مقر إمارة الجماعة لابد من مسير طويل، لكن هذه المرة على الأقدام وقد يستغرق أكثر من شهر والطريق خطير وتنتشر فيه نقاط المراقبة، ويتحكم فيه العدو بشكل كبير.
وقدّر الله، أن اكتشف العدو عزم المجموعة على الانتقال في اتجاه الشمال، فكثف دورياته، فقرر الإخوة تغيير اتجاههم نحو منطقة الشرق، حيث تيسر لهم قطع معظم المسافة بالسيارة.
وبصورة مفاجئة، كان دخول هذا الوفد عندنا في منطقة الشرق، لأنه ـ حينها ـ لم يكن لدينا خط اتصال بهم، وقدّر الله أن يكون دخولهم عندنا قُبيل أحداث الحادي عشر من سبتمبر المباركة بيومين أو ثلاثة فكانت الفرحة عارمة وعامة.

Œ ـ ولاية "صحراوية" جزائرية تقع في شمال وسط الصحراء الجزائرية، وتعتبر إحدى بوابات الصحراء.

فكان هذا للقاء فرصة لنا لمعرفة أحوال الإخوة في اليمن وأفغانستان ومن بقي من إخواننا وشيوخنا الذين من الله علينا بالتعرف عليهم.

تنقلنا سويا رفقة السرية التي جاء معها الشيخ أبو محمد اليمني في زيارات إلى كتائب المنطقة حتى وصلنا إلى حدود تونس (ولاية تبسة) سيرا على الأقدام، وهنا تعرف ـ الشيخ ـ على حقيقة ما يعانيه ويكابده المجاهدون في تنقلاتهم ورغم صعوبة الطريق والمسير الليلي الشاق، إلا أنه كان جلدا صبورا.

التقينا بأمير المنطقة (عبد الرزاق أبي حيدرة) فك الله أسره، حيث كان يجهز للقيام برحلة إلى الصحراء وطلب من الإخوة (الوفد) المساعدة في ذلك بحكم تجربتهم وخبرتهم في مسالك الصحراء، فعرض الإخوة الفكرة على الشيخ أبي محمد فوافق على ذلك لما رجّحه من المصلحة التي تعود على المجاهدين، وأخّر تنقله نحو إمارة الجماعة. وفي هذه الفترة كان يتصل أحيانا مع بعض الإخوة والمشايخ في الخارج حيث حاولنا الربط مباشرة مع الإخوة في أفغانستان إلا أن الأحداث المتسارعة حالت دون ذلك.

تنقلنا مرة أخرى إلى صحراء **"مالي"** في رحلة طويلة وشاقة، وكان عددنا يقارب الأربعين مجاهدا. وأثناء مسيرنا بين كثبان الرمال العارية، اشتبكنا في إحدى المرات مع مروحيات العدو بأسلحة خفيفة فقط، فردّ الله كيدهم وسلم الله المجاهدين ثم أكملنا المسير ووصلنا إلى **"مالي"** مطلع 2002م.

استقر الإخوة هناك (شمال مالي) حيث قرّر الشيخ فتح أول معسكر تدريب، فجهز له الإخوة ما تيسر من ذخائر وسلاح رغم قلتها، وكان التركيز على دورة الأسلحة والتكتيك ثم الطوبوغرافيا.

مكثنا قرابة الثمانية أشهر جمعنا فيها ما تيسر من السلاح والذخائر.

وأثناء تواجدنا في أرض **"مالي"** أنشأت أمريكا مركزا للتصنت في إحدى المدن شمال الصحراء، ومن عادة الإخوة استعمال هواتف الثريا في اتصالاتهم، فتم رصد مكان تواجدنا وفي الصباح الباكر تفاجأنا بوجود العدو قريبا منا، بدأ الاشتباك معهم حيث تقدمت مدرعتان وتصدى لهم الإخوة

بسلاح البيكا والأربجي التي كان أحد القواذف بيد الشيخ أبي محمد فتم إعطاب واحدة مما اضطرهم للانسحاب مخلفين وراءهم قتلى وجرحى، وانحاز المجاهدون سالمين بحمد الله بعد ساعات من الاشتباك.

ثم يسر الله وتنقلت معه في رحلة إلى صحراء النيجر في مهمة اتصال ولقاء مع بعض الإخوة، فلما رجعنا وجدنا الإخوة يتجهزون للرجوع مرة أخرى إلى الجزائر، وإعداد ما يلزم من عتاد ووقود ومؤن وغيرها من مستلزمات السفر.

كان انطلاقنا في عز الصيف مع بداية (شهر أوت من عام 2002م)، فمنّ الله علينا بحفظه ومعيته رغم قلة العتاد وضعف التجهيز قطعنا فيها تلك الصحاري على مرحلتين تخللتهما فترة من الراحة، وبحمد الله لم يعلم العدو بحركتنا حتى وصلنا **"الجبل الأبيض"** في ولاية **"تبسة"** قرب الحدود التونسية آمنين مطمئنين، وكانت رحلة مباركة منّ الله بها على المجاهدين ففتح علينا بإيصال كميات لا بأس من الذخائر والأسلحة الخفيفة والمتوسطة وكانت هذه أول مرة يتنقل المجاهدون ومعهم رشاش ثقيل من نوع (دوشكة 12.7).

كان للشيخ أبي محمد تواصل في بعض الأحيان مع الإخوة ومع أهله أثناء رحلته والوسيلة الوحيدة وقتها هي هاتف **"الثريا"** وأغلبها محروق فطلب منه الإخوة توقيف الاتصالات حتى لا ينكشف خط المسير نحو الإمارة باتجاه الشمال وأظن أن آخر اتصال له كان أواخر شهر أوت لعام 2002م.

بعد وصولنا لولاية **"تبسة"**.. دخلنا على المجاهدين بعد غياب دام 8 أشهر، فتلقتنا جموعهم بالفرحة وحسن الاستقبال ومكثنا في هذه الكتيبة ما يقارب 15يوما. بعدها بدأنا التجهيز للتنقل غربا نحو ولاية **"باتنة"** ويسر الله لنا الوصول هناك حيث قطعنا مرحلة لا بأس بها مستقلين إحدى سياراتنا ثم أكملنا المسير على الأقدام حتى وصلنا كتيبة **"الفتح"** هناك أخذنا قسطا من الراحة ثم اتجهنا شمالا نحو كتيبة باتنة المستقرة على أطراف المدينة.

يشكل المسير في هذه المناطق وباتجاه الشمال نحو إمارة الجماعة خطورة وصعوبة في نفس الوقت، لقرب العدو وكثرة كمائنه مع وعورة التضاريس والتي تتميز بممرات محدودة ويحتاج اجتيازها إلى

ترتيبات خاصة منها الأدلة المهرة والتموين والدواب لحمل الأمتعة وغيرها، وتـمّ بحمـد لله ترتيـب كل ذلك، ومما خفف عنا صعوبة المسير، أننا نمر في رحلتنا عبر سرايا وكتائب المجاهدين المنتشرة، مما يوفر في بعض الأحيان أياما للراحة والتزود بالمؤن ورصد تحركات العدو.

وقبل منتصف الشهر التاسع من عام 2002 م. على ما أذكر انطلقنا باتجـاه سريـة متمركـزة في جبـل **"تيرشِوين"** التابع لدائرة **"نقاوس"** بولاية **"باتنة"** كان عددنا ما يقارب العـشرين فـردا اسـتغرق المسير ليلة كاملة ونصف اليوم ثم وصلنا إلى مقر السرية حيث اسـتقبلنا الإخـوة في مركـزهم، ولأن هذه المنطقة الجبلية صغيرة يسهل على العدو التحرك فيها شدد الإخوة الحراسة فكان فـوج الحراسـة يتكون من ستة أفراد معهم سلاح البيكا.

أثناء المسير الليلي مررنا قرب إحدى قرى المنطقة ـ وحسبما بلغنا فيما بعد أنّ بعـض سـكانها هـم مـن قاموا بتبليغ العدو عن تحركنا ـ، فلم يدم الوقت طويلا، ربما يوم أو يومان من وصولنا حتى اكتـشف فوج الحراسة ـ مع بزوغ خيوط الشمس الأولى ـ تواجد العدو قريبا من مركزنا، فبدأ الاشتباك معـه، وحاولنا الانحياز ـ جميعا ـ نحو قمة الحراسة بعد تغطية الإخوة علينا، فما أن اجتمعنا في أعـلى القمـة حتى كان العدو قد انتشر قصد الالتفاف، فقرر الإخوة الانحياز إلى سلاسل أخرى ذات كثافة غابية نوعا ما، حتى نقلل من خطر استهدافنا بالطيران المروحي، خاصة أن الاشتباك بدأ صباحا ومن عادة العدو الاشتباك مع التطويق حتى يتدخل الطيران وعليه كان لا بد من الانحياز إلى الغابات الكثيفـة لحجب الرؤية.

فانطلقنا في الاتجاه المعاكس وبعد مسير لقرابة النصف الساعة وقعنا في كمـين للعـدو وبـدأ اشـتباك جديد مرة أخرى، وأثناء التلاحم مع العدو انقسمنا إلى مجموعتين حيث استطاعت إحـداها اقتحـام سواتر العدو بالرماية مما اضطرهم لترك مواقعهم وكنا أربعـة عـشر فـردا عبرنـا نحـو منطقـة غابيـة وأخذنا مواقعنا نرقب تقدم العدو، وهنا افترقت عن الشيخ أبي محمد رحمه الله حيث بقي مـع الـشيخ خالد أبي العباس وباقي المجموعة.

حدثنا الإخوة الذين كانوا قرب الشيخ أبي محمد ومجموعته، أنه لما بدأت رماية العدو، أخـذ الإخـوة مواقعهم وبدؤوا في الرد لكن الشيخ أبا محمد بقي واقفا يطلق النار على العدو رغم نـداءات الإخـوة

له بالانكسار والاحتماء بساتر، ولكن قدر الله سابق، فأصابته رصاصات في صدره سقط شهيدا على إثرها، واقترب منه أحد الإخوة فوجده في الرمق الأخير حتى فاضت روحه إلى بارئها، كما أصيب أحد الإخوة إصابة بليغة قتل بعدها.

وفي هذه الأثناء كانت مجموعات العدو التي اشتبكنا معها في الصباح قد اقتربت من الموقع فاتخذ كل أخ ساترا وبدأ الاشتباك معهم واستمر إلى الليل على فترات متقطعة، لأن الإخوة لم يستطيعوا الخروج من وسط المعركة، كما أنهم لم يستطيعوا سحب جثامين الإخوة ولم يتدخل الطيران لأن القتال كان متلاحما.

ولما أرخي الليل سدوله انحازت مجموعات الإخوة إلى إحدى الجهات البعيدة عن مكان الاشتباك، وبقيت تراقب الوضع، ومع طلوع الفجر التقينا جميعا وهنا علمنا بمقتل الشيخ أبي محمد رحمه الله واثنين من الإخوة، وكان علينا أخذ مواقع جيدة تحسبا لاشتباك آخر، لأن العدو بدأ في تجميع قواته مع أنه لم يغادر مكان المواجهة لكثرة جرحاه وقتلاه، فبات ليلته قربهم حتى وصل لهم الدعم الجوي والأرضي مع الصباح الباكر. فحسب مصادرنا فقد بلغ عدد هلكى العدو ما بين (9 إلى 14 قتيلا) وحوالي (20 جريحا).

ومع ما حلّ بنا من فاجعة فقد الأحبة أبي محمد وإخوانه، ومن التعب والإرهاق، إلا أن الله أنزل سكينته على عباده، فأخذ الإخوة في بناء السواتر في إحدى القمم يتجهزون لخوض معارك أخرى، ويراقبون حركة العدو، ومع طلوع الشمس بدأت المروحيات في التحليق حتى سمعنا أصوات الرصاص والقنابل اليدوية، أين اقتحم العدو جثامين الإخوة التي كانت متباعدة نوعا ما. ولم يقم العدو بأي حركة غير نقل قتلاه وجرحاه، ثم انسحب من أرض المعركة.

في اليوم الموالي وبعد التأكد من خروج العدو عاد الإخوة إلى مكان الاشتباك فقاموا بدفن الشيخ أبي محمد وإخوانه الثلاثة رحمهم الله وتقبلهم في الشهداء، وبما أن العدو كان منتشرا بكثافة، اضطررنا للانحياز مرة أخرى إلى كتيبة باتنة. وبعد فترة من الراحة وإعادة الترتيب للمسير، واصل الإخوة مسيرهم نحو إمارة الجماعة وتخللتنا ملاحقات العدو ولكن الله سلّم ووصل الإخوة سالمين.

قدر الله بعد شهرين أو ثلاث من مقتل الشيخ أبي محمد رحمه الله، أن أسر أحد الإخوة حيث وصلت المعلومة للعدو أن من بين القتلى (الشيخ أبي محمد اليمني) وقام بالرجوع إلى مكان الاشتباك لنبش قبره وأخذ جثته، ليقدمه قربانا على عتبة مرضاة أمريكا.

لقد رافقت الشيخ أبا محمد رحمه الله سنة كاملة لم نفترق فيها، فكان نعم الأخ المدرب والنصوح لإخوانه والصابر المحتسب، فلم يكن يفكر يوما في رجوعه أو يسأل عن ذلك، بل كان كل همّه هو أداء مهمته على أكمل وجه، حيث كان معجبا بسلوك وصبر المجاهدين وثباتهم رغم الضيق والمحن التي تحيط بهم، فأحبّهم وأحبوه لتواضعه وحسن عشرته، ومما أذكره لما كنا في الصحراء حيث كان في بعض الأحيان يقوم بنفسه على خدمة الإخوة وإكرامهم وإعداد بعض الوجبات الخاصة لهم.

قبل انضمام **"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"** إلى تنظيم قاعدة الجهاد سنة (1428هـ/2007 م)

طلب الشيخ أبو عبد الله أسامة تقبله الله توضيحا من إمارة الجماعة حول مقتل الشيخ أبي محمد رحمه الله فكان الرد موثقا في تلك المراسلات ولكن دون تفصيل.

نسأل الله عز وجل أن يتقبل من شيخنا هجرته وجهاده ونصرته لإخوانه المجاهدين

وأن يعلي منزلته في عليين مع الذين أنعم الله عليهم وأن يلحقنا بهم على خير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه هشام أبو أكرم

بتاريخ 19 ربيع الأول 1437هج / 28 12 2015 م.